

قراءات حول الإسلام في الفكر الغربي

د. لغرس سوهيلة.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة معسكر.

مقدمة:

إنه لمن المؤسف أن نجد مفكرين وعلماء يحملون أفكارا وآراء سلبية حول الإسلام ولا يتوقف الأمر هنا فقط بل نجدهم أيضا يسعون إلى التقليل من شأنه وتحامله كدين وكحضارة وكتقافة، وفي هذا السياق نجد محمد أركون في كتابه المعنون بـ "تحرير الوعي الإسلامي" يشير إلى أن "الإسلام كدين وكتراث فكري عرضوه لنا على هيئة تشكيلة جامدة وسلبية كليا، وزعموا بأنها تشكيلة معبرة عن النفسية الشرقية التي لا تحول ولا تزول ولا تتغير ولا تتطور مهما تغيرت الأزمان"⁽¹⁾.
ففي نظر أركون أن الإسلام جزء لا يتجزأ من الفضاء المتوسطي بمعنى أنه يتضمن نفس المصادر العقلية والثقافية للغرب الأوروبي، فمن الجهة الثقافية نجد أن الإسلام ينتمي إلى الديانات التوحيدية، إضافة إلى أن المجتمع الإسلامي العربي تغذى وما زال يتغذى من الفلسفة الإغريقية، ففي نظره (أركون) أننا لا يمكننا فهم القرآن جيدا بدون الاطلاع على التوراة والإنجيل.
وعليه، وبالرغم من أهمية الدين الإسلامي كغيره من الديانات الأخرى وأخص بالذكر الديانتين اليهودية والمسيحية إلا أنه يبقى (الإسلام) في زاوية التهميش واللامبالاة والتقليل من شأنه وقيمته من طرف المفكرين والعلماء الغربيين أمثال ماكس فيبر، ليفي ستروس، ماك دونال... الخ.

وسيتم التفصيل في هذا الأمر في المراحل التالية:

1- الفكر الغربي الاجتماعي والفلسفي للإسلام:

1-1 أفكار وآراء ماكس فيبر حول الإسلام: في البداية يجب التنويه إلى أن دراسة فيبر للإسلام تركزت على عنصرين أساسيين - إن صح القول - العنصر الأول تمثل في دراسة أخلاق الإسلام، والعنصر الثاني تمحور في تحليل البناء الوراثي في الإسلام.
ولكن الخطأ الذي وقع فيه فيبر في دراسته أنه لم يربط بين هذين العنصرين، حيث "كون تصوره عن الأخلاق الإسلامية استنادا على دراسة للقرن السابع للإسلام في مكة والمدينة بينما اهتم تحليله للوراثية بظهور البيروقراطية العسكرية عند الأمويين واكماله عند العثمانيين، وبذلك فإن فيبر قد عالج الأخلاق الأصلية كشيء ثابت ومستمر بدون النظر إلى تعديلاتها الممكنة تحت الظروف الاجتماعية المختلفة"⁽²⁾.

إن معالجة فيبر للأخلاق الإسلامية في إطارها الثابت والمستمر بدون مراعاة الظروف التي يمر بها المجتمع يؤدي الأمر في آخر المطاف إلى الفشل - فشل في الوصول إلى نتائج علمية موضوعية ومنطقية في آن واحد .

لقد نظر فيبر إلى الأخلاق الإسلامية على أنها "أخلاق الوسط" وذلك بمقارنتها بالأخلاق المسيحية التي حكم عليها أنها "أخلاق البطل" وتمثل بطولية هذه الأخلاق في اعتقاده أنها "تقود الناس لاختيار النظام والتحكم في النفس وقبول المسؤولية الكاملة لذلك"⁽³⁾.
فأخلاق البطل في نظره تؤدي إلى تنظيم الحياة الجنسية على غرار الإسلام الذي يمثل "أخلاق الوسط" التي قبلت الحياة الجنسية بدلا من أن تتحداها، ففي رأيه أن الإسلام يتبنى اتجاهها شهوانيا خالصا، خاصة تجاه النساء والكماليات والملكية.
وفي ضوء الأخلاق والمعاملة في القرآن يخفي الصراع بين المتطلبات الخلقية والدنيوية، ويتربط على ذلك أنه لا يمكن أن تبرز أخلاق زهيدة للسيطرة على العالم الإسلامي"⁽⁴⁾.

وعليه، يمكننا القول أن اختفاء الزهد في الإسلام - حسب فيبر - يعني عدم ظهور الرأسمالية العقلانية في المجتمعات الإسلامية مثلما ظهرت في المجتمعات الغربية وبالأخص المجتمعات التي تدين بالدين المسيحي، وبمعنى آخر "يتجه فكر فيبر إلى أن الإسلام لا يحتوي على أخلاق تتفق أو تتلاءم مع ظهور الرأسمالية العقلانية"⁽⁵⁾.

من خلال هذا الموجز القصير لدراسة فيبر للإسلام - يؤدي بنا الأمر- للإشارة إلى أن فيبر عايش التجربة الخلقية للمذهب البروتستنتي المسيحي الذي يهتم كثيرا بالظاهرة الاقتصادية، وذلك بتأدية الفرد واجبه الاقتصادي التي رسمها له الدين كعدم التبذير، الصدق والإخلاص في العمل، عدم الغش، وكذلك استثمار الأموال في مشاريع تنمية تفيد المجتمع ككل .

وبناء على هذا ففي رأي ماركس فيبر أن الرأسمالية الغربية ظهرت في أوروبا بعد ظهور الحركة البروتستانتية خلال القرن السادس عشر، بمعنى آخر أن الرأسمالية هي نظام اقتصادي يعود ظهوره إلى المذهب البروتستنتي.

وهذا ما يؤدي بنا لاستخلاص أن المذهب البروتستنتي المسيحي هو دين مادي بالدرجة الأولى مقارنة بالجانب الروحي، في حين أننا نجد أن الدين الإسلامي يوازن بين الجانبين المادي والروحي - محاولة خلق توازن يحمل في طياته توازن بين حياة الدنيا (التي يعيشها الإنسان) وحياة الآخرة (التي ينتقل إليها والتي يتوقف مصيرها على الحياة الأولى للإنسان: الدنيا)، وبعبارة أخرى الدنيا هي عبارة عن اختبار في حين أن الآخرة هي جزاء أو نتيجة ذلك الاختبار .

وخلاصة القول، أن دراسة فيبر تمحورت حول أثر الأفكار والمبادئ الدينية على النظام الاقتصادي، وبما أنه أعطى أهمية للمذهب البروتستنتي في ظهور الرأسمالية العقلانية ، فبالضرورة ومنطقيا أنه يرى أن هذه الرأسمالية العقلانية - حسب مفهومه هو - لا يمكن ظهورها أو وجودها داخل الثقافة الإسلامية .

لكن السؤال الذي نختم به هذا النقاش هو :

بالرغم من علم فيبر باختلاف مبادئ الدين المسيحي عن مبادئ الدين الإسلامي وكذلك بالرغم من معرفته -حسب اعتقاده- أن الرأسمالية ظهرت نتيجة المبادئ التي نادى بها المسيحية، فما هو غرضه من التطبيق هذا النظام - الرأسمالي العقلاني - داخل المجتمعات الإسلامية هل هدفه فرض الدين المسيحي؟ أم هدفه هو إبراز محاسن الدين المسيحي عن الدين الإسلامي، وخصوصا عندما حكم على الإسلام بأنه دين شهواني.

لنتوقف عند كلمة شهواني قليلا لكي نبرهن مجددا عن هذا الحكم المسبق -في رأبي- بحيث نجد أن ماركس فيبر تحدث عن الحرية الجنسية داخل الإسلام واتهمه (الإسلام) بصورة غير مباشرة أنه دين غير منظم للحياة الجنسية على غرار الدين المسيحي المنظم لمثل هذه الحياة، وهنا نفهم - والعلم لله - أن حكمه هذا يعود إلى تعدد الزوجات في الإسلام ونشيط بالضبط إلى تعدد الزوجات لدى الرسول صلى الله عليه وسلم (ونحن نعلم بالطبع أن هذا التعدد كان يتضمن أهدافا عظيمة ونبيلة) ولكن الغرب المسيحي أو الغرب اليهودي، وبعبارة أخرى أفكار سلبية من طرف المستشرقين حول الإسلام عامة والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة حيث اتهموه أنه "مخترع لهذا الدين وأنه - عليه الصلاة والسلام - قد عرف شيئا قليلا من عقائد اليهود والنصارى" (6).

هذا خطأ - خطأ فادح ذلك لأن فيبر لم يراعي خصوصية الدين الإسلامي كما أنه لم يحترم مبادئه.

وبالمثل نجد أن هناك من الباحثين والفلاسفة الذين قدموا هم أيضا نقدهم للدين المسيحي نذكر من بينهم الفيلسوف نيتشه في قوله: "المسيحية منحلّة ومفعمة بالعناصر المفسدة العفنة، قوتها القائدة هي ثورة المعوجين الرقعاء، بدأت هذه الثورة باليهود، وسرت إلى المسيحية بواسطة الشخصيات المقدسة المصابة، مثل القديس بولس الذي لم تكن لديه الأمانة. فالعهد الجديد هو إنجيل إنسان من نوع وضع. إن المسيحية هي أكذوبة مهلكة ومغرية" (7).

ففي نظر نيتشه أن سيادة الأخلاق المسيحية هي المسؤولة عن تدهور الأوضاع الاجتماعية للمجتمع .

1-2 أفكار وآراء ليفي ستروس حول الإسلام: إن الأفكار التي طرحها ليفي ستروس حول الإسلام كانت متنوعة ومتعددة، حيث تضمنت موضوع المرأة، المقابر، الاتسامح.

قبل الخوض في ذكر أفكار 'ليفى ستروس' يتطلب الأمر منا الإشارة إلى أن ما هو معروف عن الإسلام عند الغرب أنه يمجّد النزعة الجماعية على النزعة الفردية - بمعنى أنه يقصّي الذاتية: ذاتية الفرد في حد ذاته - من أجل بروز الجماعة واستمرارها وفي هذا السياق نشير إلى "مبدأ النفي" الذي يقوم عليه الدين الإسلامي، "نفي المرأة خارج جماعة الرجال، ونفي غير المؤمن خارج جماعة المؤمنين. ولذا فإن التسامح المعروف عند المسلمين إنما هو 'انتصار مستمر على ذاتهم' هو في نهاية المطاف تسامح كاذب" (8).

" فمبدأ الجماعة " عند الإسلام هو عبارة عن قاعدة دينية إسلامية ثقافية خاصة، عاكسة للمجتمع العربي والإسلامي ككل وبالتالي يمكننا القول أن مبدأ الجماعة الذي ينص عليه الإسلام هو مؤشر أو بعد من أبعاد الهوية الإسلامية.

" فمبدأ الجماعة " في نظر الغرب عامة وفي نظر ليفي ستروس خاصة ما هو إلا دليل على النفاق " فالأخوة الإسلامية، لبنة الجماعة، هي فقط قاعدة ثقافية ودينية، أساسها منافق لأنها تدمم اللامساواة الصارخة " (9).

ونبقى في هذا المعنى دائما -الحديث عن مبدأ الجماعة- حيث يتجه ليفي ستروس في قوله: "تنقسم المقبرة إلى ضريح مدهش لا يستفيد منه الميت، و إلى قبر حقير ... حيث يبدو الميت سجيناً. ذلك أن الإسلام، دين عاجز عن تصور الوحدة" (10).

هنا يشير ليفي ستروس على أن المسلمين لا يكتثرون لراحة الميت داخل القبر، لكنه هنا يجهل مبادئ وقيم الإسلام، ذلك لأن ضيق القبر أو اتساعه يتوقف على الميت في حد ذاته أي يتوقف على أعماله الدنيوية حسب ما هو معروف في التراث الديني الإسلامي.

زد عن ذلك، أن ليفي ستروس لم يجهل هذا الأمر وفقط بل يجهل أمور عدة حول الإسلام حيث يعتقد أن الإسلام تجاهل وأقصى المرأة وهذا خطأ.

فالإسلام لم يقصي ولم يتجاهل المرأة بل أعطاها المكانة التي تستحقها في هذه الحياة حيث منحها حقوق وأمرها بالقيام بواجبات مثلها مثل الرجل - حقوق وواجبات يجب الالتزام بها واحترامها من قبل الطرفين معا.

وربما هذا يعود إلى التفسير الخاطئة للآيات القرآنية في بعض الأمور كالقوامة والميراث،... لدى المجتمعات الإسلامية في حد ذاتها في قوله تعالى: " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله والتي تحافون نشوزهن فعظوهن واهجرهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا " (11).

فحقيقة القوامة التي تميز بها الرجل هي في الواقع تحمل الرجل مسؤولية عائلته أي الإنفاق على زوجته وأبنائه (أي تأمين لهم الغذاء، المسكن، الملابس، التعليم،...) في مقابل مسؤولية المرأة الإنجاب وتربية أبنائها.

وهنا نكتشف مدى حكمة الخالق عز وجل في تقسيم المسؤوليات بين الرجل والمرأة من أجل استمرار واستقرار الأسرة، وبالتالي سيادة الأمن والسعادة فيها .

أما في قضية الميراث كما جاء في كتابه الحكيم "... فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم " (12) نلمس في هذه المسألة أيضا حكمة من ذلك يعني أن الرجل يكون مسئول على عائلته بدون أن يساعده أحد في ذلك (يعني أمه وأخته)، أما الأنثى فهي ليست مسئولة عن النفقة من جهة ومن جهة أخرى فإنها ستنقل إلى بيت زوجها حيث سيتم الإنفاق عليها من قبله (الزوج).

هذا فيما يخص المكانة الاجتماعية (الدنيوية) التي أعطاهها الله للأنثى، أما عن مكانتها في الحياة الأخرى (الآخرة)، فما هو معروف أن الجنة تحت أقدام الأمهات.

وكذلك الجزء في الآخرة هو متوقف على أعمالهما (الذكر ، الأنثى) بحيث لم يعطي الجنة للرجل وحده وحرّم المرأة منها بل هي من حقهما ويمكن الاستدلال بالآية التالية في قوله تعالى: "ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها " (13).

وفي النهاية، ما يمكننا قوله أن ليفي ستروس بقصد أو بدون قصد فهو يساند "التيار القروسطي القلسم، هذا التيار الذي رأى أن الإسلام وقد ولد في حمى الصراع وانتشر بفضل تفجر شعب خارج صحرائه، إنما يحمل في نواته بنية عداوة واستبعاد، وأن تاريخه ليس إلا تطورا لهذه البنية الموجودة في الأساس " (14).

1-3 أفكار وآراء هيجل حول الإسلام: من أهم الأفكار التي جاء بها هيجل حول الإسلام أنه "ثورة الشرق التي حطمت كل خصوصية وكل تبعية، تنير وتطهر الروح، جاعلة من الواحد الأحد شيئا مطلقا، ومن الوعي الذاتي الصافي، ومن علم هذا الواحد الأحد النهاية الوحيدة للحقيقة" (15).

فغاية الرسالة المحمدية هي تقديس والإيمان بالواحد الأحد لا سواه وأن "هذا الواحد مجرد مع أنه يمثل الروح حقا، وليس ملموسا كإلهه المسيحي الذي جسد كإنسان ما هو إلهي. وأن ظاهرة التجريد تترافق مع الحماسة، فالتعصب الإسلامي ما هو إلا حماسة للمجرد التي تسلك سلوك التدمير والخراب إزاء ما هو ملموس، لكن حماسة المسلمين هذه كانت قادرة أيضا على كل نوع من السمو، وهذا السمو المحرر من كل الحسابات الدنيئة ممزوج بكل الفضائل كبر النفس والبسالة. أما على المستوى السياسي فقد شخص الفيلسوف الألماني نقص النظام الإسلامي في غياب قاعدة إرث ثابتة" (16).

هذا ما يعني أن هيجل أدرك أهمية الدين الإسلامي من حيث أنه مصباح أنار المجتمع الشرقي بعدما كان يعيش في ظلام ويتخبط في جهل. كما أوضح هيجل أيضا أن الإسلام هو تعبير عن الواحد الأحد بمعنى أن الرسالة المحمدية جاءت من أجل توضيح ذلك والتبليغ أن هذا الكون هو في يد قادرة ومسيرة لهذا العالم وهي سلطة الإله .

وأشار أيضا أن الإله في الدين الإسلامي غير مجسد كما هو الحال في الدين المسيحي، وأن التعصب الإسلامي هو نتيجة التجريد -الإله مجرد لا ملموس-.

ما يمكن التنويه إليه، هو أن بعض الفلاسفة والمفكرين الألمان قد أدركوا أهمية الدين الإسلامي على غرار الآخرين وهذا ما أشار إليه هشام جعيط في كتابه المعنون بـ "أوروبا والإسلام: صدام الثقافة والحداثة" أن العالم الألماني أكثر من غيره يعيد للإسلام لونه الديني " إنه دين الخلاص، موجه نحو الأعلى، وهذا التوجه تحديدا هو ما استعاره من الهيلينية المسيحية. إلا أن ما لم تنجح فيه الهيلينية، رفعه الإسلام إلى كماله لأن التيقراطية الإسلامية هي تجسيد لمثل شددت إليه المسيحية عبثا لغاية الآن" (17).

وهذا ما يؤدي بنا للقول أن الألمان لم يهاجموا الإسلام ولم يسعوا لتشويهه لأنه بعيد كل البعد عن أرضهم وثقافتهم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أنهم لم يحاولوا الدخول في التنافس والصراع معه، أي كانوا بعيدين ومحايدين في الوقت ذاته على غرار الدول الأوروبية الأخرى.

2- افتراءات وإشاعات الفكر الغربي للإسلام: لقد أشار العديد من الباحثين والمفكرين العرب أمثال إحسان محمد الحسن وعدنان زهران ومحى الدين خشيمة وغيرهم من العرب المسلمين (العرب منهم والغرب العرب)، وذلك بهدف تشويه والتقليل من شأنه ومن شأن الحضارة الإسلامية.

وعليه، يمكننا تلخيص هذه الإشاعات والافتراءات من خلال ما ذكره الأستاذ الدكتور إحسان محمد الحسن في كتابه المعنون بـ "علم الاجتماع الديني" وفيه يعرض التهم والافتراءات التي قدمها الغرب المسيحي واليهودي حول الإسلام وهي كالآتي:

- "التشكيك بالإسلام كدين سماوي: والمعنى المقصود هو أن الإسلام من صنع البشر (ونقصد به محمد صلى الله عليه وسلم).
- عدم اهتمام الإسلام بأمور الحياة والمجتمع: بمعنى أن الإسلام يهتم بالعبادات والالاهيات ولا يعطي الأهمية لحياة البشر والمشاكل والعراقيل التي يتعرضون لها يوميا، أسبوعيا، شهريا، سنويا.

- الإسلام دين عنف: لأنه يدعو للقتال والحرب والتوسع العسكري لإعلاء كلمة الله.

- الإسلام وعدم الاهتمام بالغفران: بمعنى أن الإسلام لا يوضح للمؤمن كيفية التحرر من الذنب والشر والرذيلة لكي يصل إلى الفضيلة التي تؤدي إلى الغفران ثم النجاة من العذاب.

- الإسلام وظلم المرأة: لقد ادعى نقاد الإسلام وأعداءه بأن الإسلام ظلم المرأة ولم ينصفها وقيد حريتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولم يتح لها المجال بالمشاركة في بناء المجتمع وتطويره وحرمانها من التعليم واكتساب المعرفة وأساء إلى سمعتها وجعلها حبيسة البيت وهدر حقوقها القانونية والشرعية.

- الإسلام وعدم الاهتمام بالعلم والمعرفة والقانون: ففي نظر الأعداء أن الإسلام لم يعطي أهمية كبيرة للعلم والمعرفة والقانون وكذلك لم يحترم العلم والفقهاء والمفكر بقدر احترامه لرجل الدين والمقاتل" (18).

3- نماذج لمؤلفات الفكر الغربي حول الإسلام: في هذا العنصر سنعمل على عرض مجموعة من الكتب التي هاجمت وأساءت إلى الدين الإسلامي هذه الافتراءات والتهم التي لا وجود لها في الواقع الإسلامي ومنها نذكر:

- كتاب "عبيد الإسلام السود" للكاتب الصهيوني رونالد سيجل ويشمل الافتراءات التالية:

"أولاً: أن الرق كان سائد على مدار التاريخ و يعد جزءا من المجتمع الإسلامي.

ثانياً: أن العالم الإسلامي لم يمر بنوع الحساب الأخلاقي الذي مر به الغرب.

ثالثاً: إن إلغاء الرق كان أحد أهداف الاستعمار الأوروبي.

رابعاً: أن الخضاء انتشر بتحريض من المسلمين كنوع من التجارة" (19).

- كتاب "أبناء الله" للصهيونية المسيحية - الصهيونية أوربانا فالانتشي التي تصف فيه المسلمين على أنهم " يفعلون ما يريدون، ولو حاول أحد أن يعترض فإنهم يلتهمونه حيا ويلحون بسكاكينهم في وجهه أو على الأقل تقدير يسبون أمه وأجداده وأجداد أمه" وتقول أيضا: أعلن لكم أنني أؤمن بأن المسلمين مصابون بلذة تعذيب الذات" (20).

وفي كتاب آخر لها المعنون ب "كبرياء الغضب" تصف المسلمين أنهم: "أشخاص وعناصر خطيرة وأفراد من الفئة الخامسة" (21).

- كتاب "المحمدية" للمفكر اليهودي افرم فيشوف وفيه يسمي الإسلام بالمحمدية وكأنما محمدا وليس الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد الدين ووضع أحكامه وتعاليمه وأرسى فلسفته الدنيوية والأخروية" (22).

وهذا ما يعني التشكيك أو عدم الاعتراف بالدين الإسلامي كدين سماوي أنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

إضافة إلى كل هذه الكتب نجد أيضا صحفا سارت على نفس المنوال في تشويه الدين الإسلامي والتقليل من شأنه ومحاولة القضاء عليه، ومن هذه الصحف نجد الصحيفة الفرنسية المعنونة ب "لوبوان" ففي مقالها الافتتاحي بقلم كلود أمبرت الذي استهله بعبارة قد كتبها هوليبك في وصفه للإسلام "إن الإسلام أكثر الأديان غباء على وجه الأرض" (23).

ويصرح كلود أمبرت أن هذا الحكم على الإسلام لا يشمل هوليبك وحده وفقط بل يشمل أيضا أغلبية الفرنسيين.

كما نجد أيضا برامج إذاعية وجهت نشاطها الإعلامي ضد الإسلام نذكر على سبيل المثال محطة "سى . بى . سى" في السابع من أكتوبر سنة 2002 وكان البرنامج بعنوان "ستون دقيقة" وفيه سب القس جيري فالويل الأمريكي الرسول صلى الله عليه وسلم سبا فاحشا في قوله: "أعتقد أن محمدا كان إرهابيا، لقد قرأت ما يكفي للمسلمين وغير المسلمين لكي أقرر أنه رجلا عنيفا ... وفي رأي أن المسيح أرسى مثالا للحب وموسى فعل الشيء نفسه، لكن محمدا ضرب المثل المناقض لهما" (24).

وفي كتابه المعنون ب "كشف حقيقة الإسلام" نجد فالويل يهاجم الدين الإسلامي والرسول عليه الصلاة والسلام في الوقت ذاته في قوله: "إن المسلم الذي يرتكب العنف إنما يفعل ذلك بموافقة مسبقة من محمد. أما عن الإسلام فهو دين يسعى للسيطرة على الآخرين والتحكم فيهم أو تدميرهم" (25).

وتستمر المهاجمة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في رسالة إلى ملك بروسيا حول 'تراجيديا محمد' يشرح فيها فولتير مفهومه وتصوره لشخصية النبي في قوله: "محمد عندي، ليس سوى وراء (tartuffe) بيده سلاح" (26).

كما يرى فولتير في شخص النبي محمد نموذج التعصب الديني، والطغيان التيوقراطي، الذي يستغل مشاعر الناس البسطاء ومعتقداتهم الساذجة لأجل بلوغ غاياته الشريرة، وفي هذا المعنى كتب لأصدقائه قائلا: "إنني أصور محمدا متعصبا، عنيفا، ومحتالا ... وعارا على الجنس البشري، الذي من تاجر أصبح نبيا، مشرعا وملكا ... (محمد) إنه يجسد خطر التعصب" (27).

وفي الأخير، ومع أن تشويه الإسلام ليس بجديد على الغرب، ولكنه اليوم أصبح هدفا معلنا وكأنه هو الخطر الأول الذي بات يهدد العالم بأكمله، وفي هذا المعنى نستشهد بقول المستشرق الفرنسي اليهودي مكسم رودنسون في صفيحة لوموند الفرنسية في عددها الأول لعام 1989 حول الخطر الإسلامي بعنوان "الإسلام ... هذا الوباء الاجتماعي الخطير الذي يهدد فرنسا" (28).

خاتمة: إن الدراسات الغربية للإسلام لم تتوفر فيها شروط البحث العلمي التي تلخص في: الموضوعية والمصادقية والحيادية، وهذا راجع لعدة أسباب وعوامل يمكن إجمالها فيما يلي:

- الخوف من الإسلام نتيجة انتشاره السريع في أنحاء العالم هذا من جهة ومن جهة أخرى اقتناع الغرب بمثالية الإسلام وكمالته مقارنة مع الأديان السابقة وأخص بالذكر الديانتين السماويتين (اليهودية والمسيحية) الأمر الذي أدى بهم إلى اتهامه بالعجز والنقص والانحراف، وفي

هذا المعنى نجد الجبهة الوطنية الفرنسية تتهم الإسلام بقولها: "الإسلام داء فرنسا، وهو يهدد الهوية الفرنسية" (29)، ونحن نعلم أن "الإسلام دواء وليس داء".

-عدم فهم المبادئ الإسلامية فهما صحيحا.

-خطأ في التفسير والاستنتاج.

- تجاهل وعدم الاعتراف بالإسلام كدين سماوي مثله مثل الأديان السماوية الأخرى.

-الاعتماد على الأحكام المسبقة وفي هذا السياق يذهب إدوارد سعيد في كتابه 'الاستشراق' "إلى أن ماركس بأفكاره المسبقة وأحلامه المبعثرة بالانبعاث عبر سيطرة الغرب على الشرق وتخطيطه لأسسه الاقتصادية البالية، إنما يعبر عن جهله بالواقع الثقافي والإنساني للعالم الغير الأوروبي" وعن افتقاره إلى الاحتكاك المباشر بهذا العالم (30).

- إضافة إلى هذا نجد أن محمد عبده يرى "أن مصدر التشويهات التي لحقت بالإسلام جهل الحكام واتساع نفوذ الطرق الصوفية وسيطرتها على عقول العامة، وتحويلها الدين إلى طقوس تحت على الدروشة والتعلق بالكرامات وتقديس الأولياء والإتكالية مع ترك العمل والجهد. استسلام العلماء أمام هذه الطرق وتخليهم عن وظيفتهم العقلية" (31).

ما يمكن استخلاصه، أن المفكرين الغربيين (المستشرقين) في دراستهم للإسلام ينطلقون من الايديولوجية "التي يراد من ورائها ترويج تصورات معينة عن الإسلام، بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراءات" (32).

الهوامش:

- 1-محمد أركون. تحرير الوعي الإسلامي: نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المغلقة. ترجمة: هاشم صالح. دار الطليعة للطباعة والنشر. لبنان. بيروت. الطبعة الأولى. 2011. ص: 61.
- 2-براين تيزنر. علم الاجتماع والإسلام - دراسة نقدية لفكر ماركس فيبر. ترجمة: أبو بكر أحمد بقادر. مكتبة الجسد. المملكة العربية السعودية. جدة. 1990. ص: 256.
- 3-براين تيزنر. علم الاجتماع والإسلام - دراسة نقدية لفكر ماركس فيبر. نفس المرجع. ص: 265.
- 4-براين تيزنر. علم الاجتماع والإسلام - دراسة نقدية لفكر ماركس فيبر. نفس المرجع. ص: 29-266.
- 5-براين تيزنر. علم الاجتماع والإسلام - دراسة نقدية لفكر ماركس فيبر. نفس المرجع. ص: 250.
- 6-علي بن إبراهيم النملة. الإستشراق والإسلام في المراجع العربية. بيسان للنشر والتوزيع والإعلام. لبنان. بيروت. الطبعة الأولى. 2010. ص: 32.
- 7-جمال محمد أحمد سليمان. الوجود والموجود. دار التنوير للنشر والطباعة والتوزيع. بيروت. 2009. ص: 77.
- 8-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. دار الطليعة للطباعة والنشر. لبنان. بيروت. الطبعة الأولى. 1995. ص: 50.
- 9-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. نفس المرجع. ص: 50.
- 10-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. نفس المرجع. ص: 50.
- 11-القرآن الكريم. سورة النساء. الآية: 34.
- 12-القرآن الكريم. سورة النساء. الآية: 176.
- 13-القرآن الكريم. سورة النساء. الآية: 124.
- 14-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. نفس المرجع. ص: 52-53.
- 15-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. ص: 60.
- 16-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. نفس المرجع. ص: 60.
- 17-هشام جعيط. أوروبا والإسلام - صدام الثقافة والحداثة. نفس المرجع. ص: 45.
- 18-إحسان محمد الحسن. علم الاجتماع الديني. دار وائل للنشر والتوزيع. الأردن. عمان. الطبعة الأولى. 2005. ص: 202-214.
- 19-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر. الإسكندرية. الطبعة الأولى. 2005. ص: 262-263.
- 20-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. نفس المرجع. ص: 268.
- 21-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. نفس المرجع. ص: 266.
- 22-إحسان محمد الحسن. علم الاجتماع الديني. نفس المرجع. ص: 202.
- 23-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. نفس المرجع. ص: 271.
- 24-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. نفس المرجع. ص: 270.
- 25-محمد عبد الواحد حجازي. اليهود ينفون تاريخ العالم. نفس المرجع. ص: 270.
- 26-أليكسي جورافسكي. الإسلام والمسيحية -من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم. ترجمة: خلف محمد الجراد دار الفكر. سورية. دمشق. 2005. ص: 98.
- 27-أليكسي جورافسكي. الإسلام والمسيحية -من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم. نفس المرجع. ص: 98.

- 28- عدنان زهران وآخرون . الإشاعة أداة حرب على الإسلام و المسلمين. دار زهران للنشر والتوزيع. عمان. 2000. ص:183.
- 29-محمد العربي فلاح. الإسلاموفوبيا أو الخوف المرضي من الإسلام. دار همومه للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. 2007. ص: 57.
- 30-يفوت سالم. حفریات الاستشراق- في نقد العقل الاستشراقي. المركز الثقافي العربي. بيروت. الطبعة الأولى. 1989. ص: 62.
- 31-محمد عبده . الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية. موفم للنشر. 1987. ص: 13- 14.
- 32-عبد الحليم محمد. الاستشراق بين المصطلح والنشأة. مجلة الحضارة الإسلامية. العدد السادس والعشرون. الجزائر. جامعة وهران 1 أحمد بن بلة. 2015. ص:371.